

ادعاءات النبوة^(١)

بعد ختم النبوة

بقلم: د. محمد السيد علي بدوي

تمهيد:

لقد تقلبت البشرية في أحضان الطبيعة ، كما يتقلب الوليد في حضن أمه وأبيه ، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه وزمن استوائه ؛ أرسل النبي محمد ﷺ بالرسالة المتممة للشرائع السابقة ، فختم الله به النبوة والرسالة ، كما ختم بالقرآن العظيم الكتب السماوية ، فكان ختام المسك ، وواسطة العقد ؛ إذ هو آخر المرسلين وجوداً ، وأولهم رتبة ومنزلة ، فهو سيد ولد آدم ، وفخرهم في الدنيا ، قال تعالى: ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا ﴾^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثلي رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) . رواه مسلم .

وقال ﷺ: (إن الله خلق الخلق ، فجعلني في خير خلقه ، وخلق القبائل ، فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً) . رواه أحمد .

(١) هذه ورقة عمل ألقيت في المنتدى الفكري العالمي «خمس عشرة قرناً على اختتام النبوة واكتمال الدين» .

(٢) «سورة الأحزاب»: (٤٠) .

ولقد بشرت الكتب السماوية بمقدّمه ؛ فيروي الإمام أحمد عن عطاء بن يسار قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت: أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأمين ، أنت عبدي ورسول ، سميتك المتوكل) .. الخ » .

وقد بشر به السيد المسيح عليه السلام ، كما قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ..﴾ الآية^(١) .

وجاء «أحمد» الرسول ﷺ برسالة نسخت جميع الرسائل السابقة: قال تعالى: ﴿قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ الآية^(٢) ، وقال ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي بعثت به إلا كان من أهل النار) . متفق عليه .
فدين الله واحد هو الإسلام ، ومحمد ﷺ نبي الإسلام ، وخاتم النبيين والمرسلين .

مدّعو النبوة في عصر صدر الإسلام^(٣) :

لقد ظهرت بوادر ادعاء النبوة في أواخر عهد الرسول ﷺ ، واشتدت بعد وفاته ، بدافع العصبية القبلية في أغلب الأحيان ، ابتغاء منافسة قریش في الرئاسة .

ففي اليمن: ادعى الأسود العنسي النبوة ، وكثر أتباعه ، ولكن حركته أخمدت قبل وفاة الرسول .

(١) «سورة الصف»: (٦) .

(٢) «سورة الأعراف» : (١٥٨) .

(٣) راجع: سيرة ابن هشام: (٤٤٤/٣) ، ط دار التراث العربي سنة (١٩٧٩) ، «والسيرة النبوية» للدكتور عبد المقصود نصار ، د. محمد الطيب النجار: (٣٣/٣) ، ط. المطابع الأميرية (١٩٩٨م) ، «ومعالم التاريخ الإسلامي والوسيط» لرشاد عبد الواحد وآخرين: (ص٣٢ ، ٣٣) .

ومن اليمامة: كتب مسيلمة بن حبيب (المشهور بمسيلمة الكذاب) إلى رسول الله في أواخر السنة العاشرة من الهجرة: «من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله: سلام عليك ، أما بعد ، فإنني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشا قوم يعتدون».

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب:

قال ابن إسحاق: «فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: (فما تقولان أنتما ؟) ، قالا: نقول كما قال . فقال: (أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) .

ثم كتب إلى مسيلمة: (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين) .

وفي بني أسد: ظهر طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ، واستفحل أمره بعد وفاة الرسول ﷺ ، وتبعه قبائل أسد وغطفان وطئ ، وتنبت امرأة من بني يربوع تدعى: سجاح بنت الحارث التميمية ، والتي تحالفت وأنصارها من تغلب مع مسيلمة الذي ادعى النبوة في اليمامة بعد زواجه منها .

ونجحت الحملات التي وجهها أبو بكر لقتال المرتدين ، وقمع حركة الردة ، وكان أهم وأعنف المعارك مع مسيلمة وأنصاره ، والتي انتهت بهزيمته وقلته .

ومن العجيب أن يعود بعض من ادعى النبوة إلى رشدهم ، كطليحة الأسدي الذي عاد للإسلام ، بل وأبلى بلاء حسناً في فتوحاته كفتح فارس والعراق !

التنظيمات المنتسبة إلى الإسلام زورا وادعى أصحابها النبوة:

أولاً: الطريقة الشيخية:

يعتبر الشيخ أحمد الإحسائي ، المولود سنة (١١٥٧هـ) ، شيخ الطريقة الشيخية ، وهي طريقة باطنية صوفية تبشر بظهور المهدي المنتظر ، ولما توفي الشيخ الإحسائي تسلم مشيخة الطريقة من بعده تلميذه ، كاظم الرشتي ، المولود سنة (١٢٠٩هـ) ، والذي توفي في كربلاء عام (١٨٤٣هـ) ^(١) .

ثانياً: الدعوة البابية:

وبوفاة الرشتي انقسم الشيخيون إلى ثلاث فرق أقواها بزعامة الملاحسين البشروني ، الذي هام وجماعته في الأرض يبحثون عن المهدي المنتظر الذي بشر به الإحسائي والرشتي ، وأسفرت النتيجة عن لقاء غريب مريب بين البشروني وبين رجل يدعى علي محمد الشيرازي في مدينة شيراز . ويدعي البشروني أن عليا هذا تنطبق عليه صفات المهدي المنتظر ، وبهذا دخلت الدعوة الشيخية منعطفاً جديداً حيث حلت الدعوة البابية محل الطريقة الشيخية ، وكان ذلك في (٢٣) أيار سنة (١٨٤٤م) ، ولقب مؤسس البابية «علي محمد الشيرازي» بالباب ، كما لقب البشروني باب الباب ، ولقب الدعاة الأوائل الذين آمنوا ببابيته ، وعددهم ثماني عشرة داعية بحروف الهي ، والذين انطلقوا للتبشير بدعوته البابية الجديدة .

ويكشف لنا الدكتور عبد الفتاح بركة عن حقيقة مؤسسي هذه الطرق في محاضراته في ندوة المحاضرات عام (١٣٩٣هـ) (ص ٢٤٩) ، فيقول: «لما سقطت حكومة روسيا القيصرية عام (١٩١٧م) ، قامت الثورة الشيوعية بإذاعة التقارير غير المذاعة تؤكد أن حكومة القيصر أرسلت قسيسين إلى إيران باسمين مستعارين هما: أحمد الإحسائي وكاظم الرشتي . وما إن أذاعت الثورة الشيوعية اسم القسيسين حتى سارعت الحكومة البريطانية إلى الاتصال بهما ، وتمويلهما للاستفادة من جهودهما التبشيرية والتخريبية .

(١) انظر «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي»: لمحمد الحسن: (ص ٣٠٣) ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العالمية للطباعة والنشر بالدوحة (سنة ١٩٨٦) .

ولا أظن أن لقاء البشروني بعلي محمد الشيرازي كان بمحض الصدفة ، بل الأرجح أنه أحد عملاء الاستعمار الغربي المرشح لقيادة الحركة في مرحلتها الجديدة ، فعرفه عليه الرشتي ، وأعطاه كلمة السر ، وطلب إليه الاتصال به ، والادعاء بأن صفاته تطابق صفات المهدي المنتظر ، وكان له ما أراد !

عقيدة البابية:

ادعى علي محمد الشيرازي مؤسس البابية أنه المهدي المنتظر منذ كان عمره خمسة وعشرين عاماً ، وروجت له المؤسسات المحلية ، فافتتن به الكثيرون ، ولما توفي أستاذه الرشتي سمي نفسه الباب (عقيدة شيعية) ، وادعى أنه الوسيلة للوصول إلى الله ، وأول حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ^(١) ، بأنه هو على المقصود ، ثم ادعى أنه يوحى إليه ، وأنه أنزل عليه: «البيان العربي» ، وسماه كتاب الله ^(٢) ، وبناء على ذلك نادى بنسخ الشرائع السابقة ، وكان يؤمن بالتناسخ وينكر البعث ، وكان يعتمد على العنصر النسائي ، لتزداد دعوته انتشاراً .

ففي مدينة قزوین بإيران اعتنق آل البرغاتي الدعوة البابية ، وعلى رأسهم الملا محمد صالح وابنته «قرة العين» ، وكانت من الجميلات الذكيات ، فصار لها شأن كبير .

لقد نقلت مجلة «الجوهرة» التونسية في عددها الثامن من السنة الرابعة (ص ٧٠) خطبة «قرة العين» جاء فيها: «اسمعوا أيها الأحباب والأغيار أتباع الباب وغيرهم ، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن اشتغالكم بالصوم والصلاة والزكاة ، وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل ، وأن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد ، وستخضع له الأقاليم السبعة المكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد » .

ثم تدعو «قرة العين» إلى الإباحية فتقول: «مزقوا الحجاب الحاجز بينكم وبين

(١) وهذا الحديث لا يصح ، وهو يدور بين الضعف والوضع .. [المجلة] .

(٢) لمزيد من التفصيل ، راجع: البابية . عرض ونقد: للأستاذ إحسان إلهي ظهير: (ص ٩٧) ، وما بعدها ط ٣ - إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، سنة (١٩٨١) .

نسائكم ، بأن تشاركوهن بالأعمال ، وتقاسموهن بالأفعال ، واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن إلا زهر الحياة ، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ؛ لأنها خلقت للضم والشم ، فخذوا حظكم من هذه الحياة ، ولا شيء بعد الممات .» وفي ذلك إنكار صريح للبعث ^(١) .

ذهبت «قرة العين» في صباحها إلى كربلاء ، تطلب العلم مع زوجها وابن عمها ، وهناك التقت بالرشتي وتأثرت بدعوته ، ثم التحقت بعد وفاته بالدعوة البابية في شيراز ، ثم أعلنت نسخ كتب الإحسان والرشتي ، بسبب ظهور الباب ، فغضب عليها مريدوها ، فرحلت إلى بغداد ، وهناك استأنفت دعوتها في وجوب تجديد الشريعة الإسلامية ، وإحلال البيان محل القرآن ، فأمرها الوالي التركي بمغادرة بغداد ، فرحلت إلى قزوین مسقط رأسها ، فسجنها حاكم المدينة ، فهربت من السجن بواسطة أحد أتباعها المدعو «مرزا حسين» الملقب بالبهاء ، وأخفاها في بيته في طهران .

وكان أن سجن والي شيراز الباب علي محمد الشيرازي ، لثبوت كفره الصريح ، وأمر الشاه ناصر الدين بمقتله حدا ، لثبوت ادعائه النبوة ، وإنكاره البعث ، وإيمانه بالتناسخ ، ولقوله بنسخ الشريعة ، وبينما كان البايون مجتمعين في بدشت سنة (١٨٤٨م) ؛ للبحث في إنقاذ الباب ، ولتحديد موقعهم من الشريعة الإسلامية ونسخها ، دخلت عليهم «قرة العين» فجأة ، وقد اسفرت عن وجهها الجميل لأول مرة ، وقد لبست أحسن ثيابها ، وازينت ، وأعلنت بأعلى صوتها أنها الكلمة ، وقالت : «وليقيم كل من في هذا اللقاء ، وليقبل صاحبه فإن أحكام الشريعة الإسلامية قد نسخت بظهور الباب » .

واستاء معظم الحاضرين منها ، وحاول بعضهم قتلها ، واستطاع بعض الاتباع استلام زمام المبادرة ، وسيطروا على قيادة الدعوة ، وساروا باتجاه يخالف تعاليم الإسلام جملةً وتفصيلاً ، وبكل وضوح ، وأصدر علماء المسلمين فتواهم بتكفير الباب وأتباعه ، وتم إعدام المسجون في قلعة ماكو صبيحة الثامن من تموز سنة (١٨٥٠م) ، فنقل أتباعه جثته إلى عكا مركز دعوتهم الجديدة ، وفي (٣٩ أغسطس ١٨٥٢م) تسللت «قرة عين» على رأس

(١) «الماذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي» لمحمد الحسن: (ص ٣٠٣- ٣٠٥) .

ثلاثين رجلا من بغداد إلى طهران ؛ ليأثروا لمقتل الباب باغتيال الشاه ناصر الدين ، فأخفقت في مسعاها ، وأعدمت مع من كان معها ، وحينما كانت أمام الجلاد ، حاولت استمالة إلى دعوتها ، وأهدته منديلها الحريري ، فتناوله منها وخنقها به .

وهكذا انتهت الدعوة البابية ، وبدأت الدعوة البديلة ألا وهي البهائية^(١) .

ثالثاً: البهائية :

أسسها ميرزا حسين علي نوري المولود عام (١٨٣٣م) ، وكان من أتباع «قرة العين» ، وهو الذي عمل على تهريب «قرة العين» من السجن ، وخبأها في بيته في طهران ، نفاه الشاه مع الكثيرين من أتباعه إلى بغداد ، وهناك بدأ نشاطه ، وراح يتردد على السليمانية والمناطق الكردية ، ويعلن عن نفسه أنه الباب الجديد الذي بشر به الباب السابق بقوله: «إن الباب من يظهره الله» . فوجد بين العوام أنصاراً ، فنفاه والي بغداد إلى الآستانة ، وهناك اختلف مع أخيه يحيى على زعامة الحركة ، فانتصر عليه ، ورحل إلى عكا ، واستقر فيها .

ادعى ميرزا حسين أنه الباب ، ثم إنه المهدي المنتظر ، ثم ادعى النبوة الخاصة ، ثم ادعى النبوة العامة ، وأنه لجميع البشر ، ثم ادعى الألوهية آخر حياته على أساس نظرية الحلول ، وأن الله حال به فكان يمشي في الأسواق مغطياً وجهه ببرقع ، حتى لا يشاهد بهاء الله أحد من خلقه ، ولقب نفسه البهاء ، وبذا عرفت دعوته بالبهائية ، ومنع ادعاء الألوهية لغيره مدة ألف سنة .

وقد ألف الكتاب «الأقدس» ، وكتاب «الإيقان» ، وكتاب «إشراقات وتجليات» ، وكتاب «طرازات كلمات فردوسية» ، ثم أهلكه الله في مايو (١٨٩٢م) ، ودفن في قبر سمي: بيت البهجة ، على سفح جبل الكرمل في فلسطين^(٢) .

(١) المرجع السابق: (ص ٣٠٣ و ٣٠٦) ، ولمزيد من التفصيل ، راجع: «البابية عرض ونقد» للأستاذ إحسان إلهي ظهير: (ص ٢٣٧) وما بعدها .

(٢) نفس المرجع: (ص ٣٠٦ ، ٣٠٧) ، ولمزيد من التفصيل ، راجع: كتاب «البهائية نقده وتحليل» ، إحسان إلهي ظهير .

وقد أثبتت بعض الوثائق أن هناك صلة قوية بين البهائية والصهيونية العالمية والاستعمار ، ويظهر ذلك في تأييد عبد البهاء خليفة البهاء ، وولده - وبكل صراحة - لتجمع اليهود في فلسطين ، فقد جاء في الكتاب المسمى ؛ «مفاوضات عبد البهاء» (ص ٥٩) ما يلي: «وفي زمان ذلك العصر الممتاز ، وفي تلك الدورة ، سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب ، والجنوب والشمال مجتمعة ، وتكون فلسطين وطننا لهم» .

وفي القدس المحتلة عقد مؤتمر البهائية العالمي سنة (١٩٦٨م) ، حيث تحتضن اليهودية العالمية الدعوة البهائية ، وقد كشف المؤتمر بأبحاثه التي طرحها عن مدى الارتباط الوثيق بين الصهيونية والبهائية ، وقد قيل في حفل الاختتام: «إن الحركتين اليهودية والبهائية متممتان لبعضهما البعض ، وتجتعلان في أكثر النقاط» .

ولقد ثبت أن المحافل البهائية في الوطن العربي أوكار تجسس ؛ لصالح إسرائيل ؛ لذا فقد صدر قرار مصري عام (١٩٦٠م) ، بحل المحافل البهائية ؛ لإدانتها بالتجسس لصالح إسرائيل ، كما صدر قرار مشابه في العراق ، وأنه لا يزال لهذه الفئة المحظورة بعض النشاط الخفي .

وكشف البهائيون هويتهم الصهيونية حين استقبلوا الجيش الإنجليزي عند دخوله حيفا في الحرب العالمية الأولى استقبال الفاتحين ؛ كما أن البهائيين في إسرائيل يعاملون معاملة اليهود سواء بسواء منذ قيام دولة إسرائيل ، كما أن اعتراف الأمم المتحدة بالبهائية كمذهب عالمي كان استجابة لضغوط الماسونية^(١) والصهيونية .

(١) هناك أوجه شبه كثيرة بين الماسونية والبهائية ، مما يؤكد أن البهائية لها صلة وطيدة مع الماسونية ، ومن أوجه التشابه بينهما ما يلي:

- أ - كلتاها تعملان تحت شعار الخيرية ، وتظاهران بالأخوة الإنسانية العالمية .
 - ب - يدعوان إلى الإباحية الجنسية عن طريق تحريم الحجاب وإباحة الاختلاط .. إلخ .
 - ج - كلتاها تذهبان إلى أن عام (١٨٤٤م) هي سنة انتهاء أزمة الأمم، وبدء سيادة يهود على العالم كله ، كما أن البهائيين يؤرخون بهذا التاريخ .
- انظر: المرجع السابق: (ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) ، ولزيد من التفصيل حول «الماسونية» ، راجع مقال: «خطر الماسونية القادم من وراءه؟» محمد السيد علي بلاسي ، بجريدة «أخبار العالم الإسلامي» العدد (٩٤٣): (٩) .

ومما يؤكد عمالة البهائية لإسرائيل ما يلي :

١ - اتخاذ قرار مكتب مقاطعة إسرائيل ، بوضع اسم البهائية في القائمة السوداء ، لثبوت صلتها بالصهيونية .

٢ - قرار مؤتمر المنظمات الإسلامية الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي عام (١٣٩٣هـ) في مكة المكرمة ، والذي مثلت فيه مائة وخمسون مؤسسة إسلامية ، باعتبار البهائية حركة صهيونية غير إسلامية ^(١) .

رابعاً القاديانية :

مؤسسها ميرزا غلام أحمد ، المولود سنة (١٨٣٩هـ) في «ربوة» من قاديان إحدى قرى البنجاب الباكستاني ، و«ربوة» هذه مدينة أنشأها القاديانيون لأنفسهم ؛ لتشملهم الآية الكريمة : ﴿وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ ^(٢) .

نشأ غلام أحمد في أسرة عميلة للاستعمار الإنجليزي ، وكان أبوه واحداً من الذين خانوا المسلمين ، وتآمروا عليهم ، وساعدوا الاستعمار ؛ لطلب العز والجاه ، كما ذكره غلام أحمد بنفسه في كتابه «تحفة قيصرية» (ص ١٦) : «بأن أبي غلام مرتضى كان من الذين لهم روابط طيبة وعلاقات ودية مع الحكومة الإنجليزية ، وكان له كرسي في ديوان الحكومة ، وقد ساعد الحكومة حينما ثار عليها أهل وطنه ودينه الهنديون ، مساعدة طيبة في سنة (١٨٥١م) ^(٣) ، بل مدها بخمسين جندياً وخمسين فرساً من عنده ، وخدم الحكومة العالمية فوق طاقته » .

ففي مثل هذه الأسرة إن لم يولد غلام أحمد ، فمن يولد غيره ، فولد ، وحينما بلغ الرشد درس بعض الكتب الأردنية والعربية على يد أساتذة غير معروفين ، وقرأ شيئاً من القانون ، ثم توظف في بلدة سيالكوت من إحدى بلاد باكستان الآتية بخمسة عشر روية شهرياً ^(٤) .

(١) راجع «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي» : (ص ٣٠٧ - ٣٠٩) .

(٢) «سورة المؤمنون» : (٥٠) .

(٣) وهذه ثورة معروفة ضد الاستعمار .

(٤) «القاديانية دراسات وتحليل» للاستاذ إحسان إلهي ظهير : (ص ٢٢ و ٢٣) .
الطبعة السادسة عشرة - إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان سنة (١٩٨٣م) ، وانظر «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي» : (ص ٣١١) .

وفي عام (١٩٠٠م) أعلن دعوته رسميا ، وادعى أنه نبي مرسل ، وأن منكر رسالته كافر ، لا تؤكل ذبيحته ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولما مات ولده ، وكان لا يؤمن به امتنع والده «ميرزا» وأتباعه من الصلاة عليه ! وكانت مجلة «الأديان» التي تصدر بالإنجليزية في قاديان شهريا منذ عام (١٩٠٢م) لسان حال هذه الجماعة . ألف كتابه «براهين الأحمدية» ، وصدر القسم الأول منه عام (١٨٨٠م) ، وفيه ادعى أنه المهدي المنتظر^(١) .

انشقت القاديانية بعد نشأتها شعبتين عرفت الأولى باسم: الأحمدية ، أو جماعة لاهور ، وسماها البعض بـ «القاديانية المستترة» ، وزعيم هذا الفرع «خواجه كمال الدين» ، و «مولاي محمد علي» ، ولهذا الفرع نشاط كبير في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

ترجم محمد علي القرآن إلى اللغة الإنجليزية عام (١٩٢٠م) ، وألف كتابه «الإسلام» عام (١٩٢٦م)، وانتشرت هذه الدعوة في أفريقيا ، وخاصة في المستعمرات البريطانية ، وفي أوروبا ، ولا عجب فإن لهذه الحركة في أفريقيا وحدها ما يفوق عن خمسة آلاف مرشد وواعظ ، متفرغون للدعوة والإرشاد ، تخرجوا جميعا من قاديان ، ولها دائرة معارف خاصة بها ، ولها مئات الكتب بالأوروبية والعربية والإنجليزية ، مما يؤكد الدعم الأجنبي لهذه الحركة عامة والإنجليزي خاصة .

وأما الفرع الثاني: فهو القاديانية بزعامة غلام «أحمد ميرزا» ، وخليفته من بعده «الطيب نور الدين» ، ثم خليفته الثاني ابنه «بشير الدين محمود» .

والفرق بين الأحمدية والقاديانية: أن القاديانيين يؤمنون بنبوة غلام أحمد ميرزا، بينما تنظر إليه الأحمدية على أنه مصلح ديني فحسب^(٢) .

وبالجملة فهما حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس، غير أن الفرع الأول ، وهو القاديانية اللاهورية (الأحمدية) من أخطر الحركات الهدامة على عقيدة المسلمين ، حيث نجحت في خططها الرامية إلى التستر ؛ للعمل داخل المجتمعات الإسلامية تحت شعار «الدعوة إلى كتاب الله وسنة

(١) «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي»: (ص ٣١١) .

(٢) المرجع السابق: (ص ٣١٤ ، ٣١٥) ، بتصرف يسير .

رسوله» ، وعبر نشر ترجمات معاني القرآن الكريم بشتى اللغات ، والهيمنة على مواقع كثيرة في العمل الإسلامي .

ولقد خفي على الكثيرين من المشتغلين بالعمل الإسلامي أمر اللاهورية ، فراح يلتمس الأعذار لزعيمها مولاي محمد علي حيناً ، ولدعاتها حيناً آخر ، وخفي عليهم أن القضية الرئيسية في موضوع القاديانية ليس الاعتراف بنبوّة ميرزا غلام أحمد ، أو عدم الاعتراف بها ، وإنما تكمن القضية في الفكر الهدام الذي تتبناه القاديانية ، ومن أجله تحرف النصوص الصريحة في الكتاب والسنة ، وهذه المهمة تضطلع اللاهورية بالقسط الأكبر فيها ، حيث يندس دعائها داخل المجتمعات الإسلامية رافعين شعار «الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله» ، والعمل من أجل التعريف بالإسلام ، أو الدفاع عنه أمام هجمات أعدائه .

وهذه الأدوار التي يقومون بها ليست وحدها الركائز التي يعتمدون عليها في استقطاب الجماهير ، بل تعينهم على ذلك موارد ثابتة ، يستغلونها في الدعم المالي للأفراد وللمؤسسات ، والإحسان يستعبد الإنسان .

لقد ظل علماء شبه القارة الهندية يواجهون القاديانية ، ومخاطرها لفترة طويلة، في الوقت الذي لم تكن هناك رؤية واضحة عن هذه النحلة الهدامة لدى علماء الأقطار الإسلامية الأخرى ، وحتى داخل الدول العربية ^(١) .

القاديانية . . عميلة الاستعمار الإنجليزي :

اجتمع قواد الاستعمار البريطاني وزعماءه في لندن ، وخططوا خطة ضد الإسلام من أخطر خططهم بعد تفكير عميق ، وبحث دقيق ؛ لأنه لا توجد في قارات العالم قوة تجابههم غير الإسلام ، ولذا لا بد لدعم القوة الاستعمارية ، أن تشتت قوى الإسلام ، ولكن لا بمهاجمتها ، بل بإنشاء فرق باطلة منهم ، تكون حاملة اسم الإسلام ، وفي الأصل تكون هادمة لأصوله ومبادئه ، وتمتد هذه الفرق بكل الإمكانيات من المساعدات المالية وغيرها؛ لتعمل على حسابهم ، وتتجسس على المسلمين ، فنسجت يد الاستعمار على هذا المنوال نسجا جميلا

(١) «القاديانية المستترة ، أخطر الحركات الهدامة على عقيدة المسلمين» للشيخ على عيسى ، بحث منشور في جريدة « أخبار العالم الإسلامي» : العدد: (١١٨٨) الحلقة الثانية: (ص١٠) بتصرف .

محكما ، وبالفعل أرسلت بعثات خاصة في البلاد المستعمرة ؛ للبحث عن الخونة ؛ لكي تشتري منهم ضمائرهم وإيمانهم ، وأحاسيسهم ومشاعرهم ، ففتشت هذه الفئات الخبيثة عن الخونة ، وأي قوم يخلو عن مثل هؤلاء ، وكان أشدهم خطرا عميل الاستعمار الإنجليزي في الهند ، غلام أحمد القادياني ، حيث عرف بمظهر التجديد مرة ، وبالمهادوية مرة أخرى ، ثم بعد ذلك قفز ووصل إلى النبوة ، وقال : «إنه نبي مرسل ينزل عليه الوحي ، ولكنه ليس بنبي مستقل ، بل نبي متبع ، كهارون لموسى» .

وحرّف معاني القرآن وأولها بتأويل فاسد ، وروج أفكاراً باطلة ، وأدى للاستعمار خدمات جليلة مع بقاءه في صفوف المسلمين ؛ لأنه ما كان يستطيع أن يخدمهم بخروجه عن الإسلام مثلما استطاع وهو مظهر إسلامه ، فكان من أعظم خدماته لهم ، فتواه بأنه لا يجوز لمسلم أن يرفع السلاح في وجه الإنجليز؛ لأن الجهاد قد رفع وأن الإنجليز هم خلفاء الله في الأرض ، فلا يجوز الخروج عليهم .

يقول الميرزا غلام أحمد في كتابه «شهادة القرآن» (ص ١٠) : «لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها ، ولقد ألفت في منع الجهاد ، ووجوب طاعة أولي الأمر من الإنجليز من الكتب والنشرات ، لو جمع ما فيها ، أو لو جمع بعضها إلى البعض للأ خمسين خزانة ، ولقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ، ومصر ، والشام ، وكابل ، والروم » . أ.هـ.

لذلك سرّ منه المستعمرون أيما سرور ، وقدموا له كل المساعدات من الحماية والمال ، وحتى أعطوه أناسا يتبعونه ويقلدونه ، فكان الرجل الذي ما رأى طوال حياته مائة جنيه يلعب بمئات الألوف يوميا ، والمسكين الذي كان موظفا بسيطا لا يأخذ أكثر من خمسة جنيهات في الشهر ، ويتنقل بطلب المعاش من بلد إلى آخر ، ومن قرية إلى قرية ، يبني قصورا شامخة ، ويركب عربات فخمة ، ويأخذ خدمه معاشا أكثر مما كان يأخذ سيدهم ، فهذا كله كان من بركات الاستعمار البريطاني ، كما اعترف في محضره الذي قدمه للملكة بريطانيا حينما زارت الهند .

ويؤكد هذا العرفان بالجميل في كتابه «الملفوظات الأحمدية» حيث يثني على الحكومة البريطانية قائلاً: «لقد بالغت هذه الحكومة في الإحسان إلينا ، ولها عندنا أياد وأي أياد » .

لذا ركز الاستعمار الجهود لتنمية هذه الشجرة وتربيتها ، وعرفوه إلى الناس ، ورفعوا منزلته في كنفهم ، وشجعوه على الهجوم على المسلمين والإسلام ، وعلى أكابرهم ، وأئمتهم ، حتى تناول أعراض الأنبياء عليهم السلام ، وعرض سيد المرسلين ، وأصحابه البررة رضوان الله عليهم أجمعين ، فكفره جميع علماء الأمة ، وأفتوا بوجوب قتله ؛ لادعائه النبوة ، ولإهاتته الأنبياء ، وسبابه المسلمين ، ولإنكاره أسس الدين الإسلامي الحنيف .

ولكن سيده الاستعمار دافع عنه ، وحفظه من غيظ المسلمين وغضبهم ، فما استطاعوا أن يعملوا ضده أي شيء اللهم إلا أن علماء المسلمين ناظروه وناقشوه ، وأظهروا الحق وأبطلوا الباطل ، وكان أبرزهم العالم الشيخ «ثناء الله الأمر تسري» الذي انتصر عليه غير مرة ، وأقام عليه الحجة ، وأخيراً دعاه إلى المباهلة بأن الكذاب يموت في حياة الصادق بموت غير عادي ، وظهر الحق ، حيث إنه بعد مدة قليلة من هذه المباهلة ، وفي مايو عام (١٩٠٦م) مات غلام أحمد القادياني بعد أن أصيب بالكوليرا ، فخلفه الحكيم نور الدين ، ومشى على منوال شيخه ، وموالاته للاستعمار ، وساعدهم سيدهم القديم بالمشورات وغيرها في أوروبا وأفريقيا من بلاد العالم ^(١) .

وورد في صحيفة «الفضل» (١٩١٨/١١/٧م) كلمة لابن الغلام أحمد بشير قال فيها: «لماذا لا نفرح بدخول الإنجليز للشرق الأوسط ، وقد قال إمامنا الغلام أحمد: بأنني أنا المهدي المنتظر ، وحكومة إنجلترا سيفي . نحن نبتهج بهذا الفتح ، ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبريقه في العراق والشام وفي كل مكان . إن الله أنزل ملائكة لتأييد الحكومة ومساعدتها» ^(٢) .

(١) انظر «القاديانية دراسات وتحليل»: (١٩ - ٢٢) ، بتصرف ، وراجع «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي»: (ص ٣١١) ، وما بعدها .

(٢) انظر «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي»: (٣١٦) .

تعاون القاديانيين مع اليهود:

لقد اختار القاديانيون الأحمديون مركزهم في يافا ؛ ليقبوا تحت الحماية الإنجليزية قبل تأسيس إسرائيل ، وما إن قامت دولة إسرائيل حتى منحتهم إنكلترا جوازات سفر بريطانية ، ومنحتهم إسرائيل حرية الدعوة والتبشير بالأحمدية .

ورد في كتاب «القاديانية» لمحمد خير القادياني ما يلي: «يقع مكتب التبشير الأحمدي في جبل الكرمل في حيفا في إسرائيل، ولنا فيه مسجد، ودار للنشر، ومكتبة عامة لبيع الكتب ، ومدرسة تصدر مجلة شهرية اسمها: «البشرى» التي توزع في البلاد العربية ، وقد قام هذا المكتب بنقل الشيء الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية ، وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا ، وناقش معه عدة مسائل منها إنشاء مدرسة بقرب جبل الكبائر ، وقد شرفنا رئيس البلدية يرافقه أربع شخصيات هامة، واستقبلهم رجال فرقنا ، وعقدوا لهم حفلة ترحيبية، ولما أراد مبشرنا محمد شريف العودة إلى مركز الأحمدية في باكستان أرسل إليه رئيس إسرائيل رسالة فيها أن يزوره قبل سفره إلى باكستان» .

والأحمديون يمارسون حقوقهم ونشاطاتهم في إسرائيل بتشجيع من حكومة العدو^(١) .

عقائد القاديانيين:

١ - ادعاؤه النبوة: ورد في كتاب ميرزا غلام أحمد «حقيقة الوحي» هامش (ص٧٢) قوله: «أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل» ، وفي (ص١٦٣) يقول الغلام: «الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله ورسوله» ، وادعاؤه النبوة يقتضي أن ينكر عقيدة الإسلام في ختم النبوة والمرسلات والكتب السماوية^(٢) .

٢ - يفسر القاديانيون: (وخاتم النبيين) من الآية بمعنى: زينتهم وختمهم وطابعهم؛ ليفتح الغلام باب النبوة، كي يحشر نفسه استجابة لأمر أسياده الإنجليز.

(١) انظر المرجع السابق: (ص٣١٦ ، ٣١٧)، ولزيد من التفصيل والإيضاح، راجع: «القاديانية.. دراسات وتحليل»: (ص٤٥) وما بعدها .

(٢) نفس المرجع: (ص٣١٢) .

ورد في كتاب «حقيقة النبوة» لابن غلام بشير (ص ٢٨٨) ما يلي:
«ومما هو واضح كالشمس في رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد النبي ﷺ»^(١).

٣ - تعتقد القاديانية أن المسيح الذي وعد بمجيئه في آخر الزمان: هو غلام أحمد القادياني ، وأنه أرسل وفق أخبار رسول الله ﷺ ، كقوله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه .

وقوله ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران (أصفران) كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه البلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ، ويدفونونه) . أخرجه أحمد في مسنده ، واللفظ له ، وأبو داود .

ويروي نواس بن سميعة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ في حديث طويل عن خروج الدجال أنه قال: (إذا بعث الله المسيح ابن مريم ، فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (ردائين أصفرين) ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلب الدجال بيا ب لد ، فيقتله) ، إلى آخر الحديث .. أخرجه مسلم وغيره .

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة المروية في هذا الباب .

(١) المرجع السابق: (ص ٣١٢) .

يفسر المتنبي القادياني هذه الأحاديث على نفسه^(١) ، حيث يقول في مجموعة إعلانات الغلام (١٨/١٠) ما نصه :

«أقسم بالله الذي أرسلني ، والذي لا يفترى عليه إلا الملعونون ، أنه أرسلني ، وجعلني مسيحاً موعوداً» .

كما يقول في كتابه «تحفة كولرة» (ص ١٩٥) : «إني أنا المسيح الموعود الذي أخبر عنه في جميع الكتب السماوية ، بأنه يظهر في آخر الزمن» .

أقول: ولو نظرنا إلى الأحاديث التي أخبر بها الرسول العظيم ﷺ عن نزول المسيح الموعود عيسى بن مريم ، لما وجدنا هناك ثمة شبه أو مطابقة بين ماورد فيها ، وأوصاف هذا الدجال الأفاك المتنبي غلام أحمد القادياني .

٤ - ادعاء المتنبي القادياني أن عيسى بعث من قبره ، وهاجر إلى كشمير ، وتوفي هناك عن عمر يناهز المائة والعشرين عاما ، وأنه قد حل فيه هو ومحمد على السواء ، فهو بذلك جمع النبوتين ، وأنه أوحى إليه بالإنجليزية ، ورد في كتابه «براهين أحمدية» (ص ٤٨٠) قوله : «أنا ألهمت عدة مرات بالإنجليزية ، فظننت من اللهجة كأنه إنجليزي قائم على رأسي يتكلم» .

٥ - ولا بد لدعى الرسالة من أن يخترع كتابا ، لذا ألف كتابا مقدسا سماه ، «الكتاب المبين» ، وادعى أنه أوحى به إليه ، وهو يتضمن مجموعة الإلهامات التي يدعي أنه أوحى إليه بها ، وهو مقسم إلى عشرين جزءاً ، وسمى الإلهام الواحد آية .

قال الخليفة الغلام أحمد في جريدة «الفضل» في عددها بتاريخ (١٥) يوليو (١٩٢٤م) ما يلي : «لاقرآن سوى القرآن الذي قدمه المسيح الموعود» . وبهذا يصرحون بنسخ القرآن ، وبنبوة الغلام ، وبإنكار ختام الرسالات والنبوات .

٦ - أما تصور الغلام عن الله الذي يوحى إليه : فهو يصوم ويصلي ، وينام ويخطئ ويصيب ! قال في كتابه «البشرى» (٧٩/٢) : «قال لي الله : إني مع الرسول محيط ؛ إني مع الرسول أجيب أخطئ وأصيب» ، وفي (ص ٩٧)

(١) رد على هذه الافتراءات والترهات الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه القيم «القاديانية .. دراسات وتحليل» ، فارجع إليه إن شئت مزيدا من التفصيل : (ص ١١٩) وما بعدها .

يقول: «قال لي الله إني أصوم وأصلي ، وأصحو وأنام » .
وصدق الله إذ يقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(١).

ولعل الغلام أراد أن يصف الله بصفات البشر حتى يسهل عليه القفز من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية ، إن وجد من يسلم بنبوته . وقد كتب فيهم الدكتور محمد إقبال فيلسوف الهند في رسالته الشهيرة: «الإسلام والأحمدية» رداً على أباطيلهم .

٧ - يرى المتنبي القادياني أن الجهاد في سبيل الله قد نسخ ، وأنه أصبح يرفض استخدام العنف والأدوات ، بل يكون بالوسائل السلمية والإقناع .

ورد في مجموعة إعلانات القاديانية (٤/٤٩) ما نصه:

«اتركوا الآن فكرة الجهاد ، لأن القتال للدين قد حُرِّم ، وجاء الإمام والمسيح ، ونزل نور الله من السماء فلا جهاد ، بل الذي يجاهد في سبيل الله ، فهو عدو الله» .

فماذا يريد المستعمرون والإنجليز أكثر من هذه الخدمة .

إنها دعوة صريحة ؛ لتمكين الاستعمار والقبول بحكمه . لقد أمر أتباعه صراحة بطاعة الإنجليز المستعمرين الذين يحكمون الهند امثالاً لأمر الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) ، فهو يأمرهم بطاعة الإنجليز أولي الأمر عندهم .

يقول العلامة أبو الحسن علي الندوي في رسالته «القاديانية»:

«لقد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، فقد أهم بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد سنة (١٨٤٢م) ، وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء ، وبث روح النخوة الإسلامية ، والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي ، وكيف التف حوله وحول دعوته آلاف المسلمين ، عانت منهم الحكومة الإنجليزية

(١) «سورة الجاثية»: (٢٣) .

(٢) «سورة النساء»: (٥٩) .

في الهند مصاعب عظيمة ، واقتنعت أخيراً أنه لا يؤثر في المسلمين ، وفي اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم ، باسم منصب ديني رفيع ، يجمع حوله المسلمين ، ويخدم سياسة الإنجليز ، ويؤمنهم من جهة المسلمين وعائلاتهم ، وقد وجدت الحكومة الإنجليزية ضالتها في ميرزا غلام أحمد القادياني ^(١) .

هذا وإزاء هذه المخالفات الصريحة لتعاليم الإسلام ، والتي يعتنقها القاديانيون في الإيمان بمدع للنبوة والوحي ، وفي عدم الإيمان بختم النبوة ، وفي إيمانهم بنسخ القرآن ، وفي إعلان تبعيتهم لأعداء الإسلام المستعمرين ، أجمع علماء المسلمين على اعتبار هذه الطائفة خارجة عن الإسلام ، وكان ذلك حين انعقد في كراتشي مؤتمر عام (١٩٥٣م) اشتركت فيه نخبة من العلماء يمثلون كافة الطوائف الإسلامية في باكستان الشرقية والغربية ، وقدموا اقتراحاً إلى المجلس التشريعي يطالبون فيه اعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة ، وأن يخصص لهم مقعداً واحداً في مجلس الشعب عن مقاطعة البنجاب .

كما اتخذ المؤتمر الإسلامي المنعقد في باكستان قراراً باعتبار القاديانية حركة غير إسلامية ، وكذا أصدر مؤتمر المنظمات الإسلامية في العالم ، والذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي عام (١٣٩٣هـ) ، وحضره مندوبو (١٤٤) جمعية إسلامية تمثل مختلف المواقع الإسلامية في العالم ، وكان القرار الذي اتخذوه بشأن القاديانية في هذا المؤتمر بمثابة إجماع من الأمة الإسلامية على تكفير القاديانيين ، وكان خاتم هذه القرارات مجلس النواب الباكستاني ، حيث أعلن اعتبار القاديانيين غير مسلمين ^(٢) .

خامساً: الباطنية:

لقد وضع مذهب الباطنية قوم تطابقوا ، وكان في قلوبهم بغض للإسلام ، والنبي عليه السلام من الفلاسفة ، والملاحدة ، والمجوس ، واليهود ، ليسلخوا الناس عن الإسلام بعد قوته ، وبعثوا الدعاة إلى الآفاق والأطراف ؛ ليدعوا الناس إلى مذهبهم ، لعل المملكة ترجع إليهم ، ويبطل دين النبي العربي ﷺ ،

(١) «المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي»: (ص ٣٢١ - ٣١٤) ، بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق: (ص ٣١٦) ، وانظر «القاديانية المستترة ، أخطر الحركات الهدامة على عقيدة المسلمين» للشيخ علي عيسى: (ص ١٠) ، نجد مزيداً من التفصيل .

ولكن ، يأبى الله إلا أن يتم نوره .

وقيل أصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والعصيان والطغيان ، ظهور «ميمون القداح» في الكوفة سنة (١٧٦هـ) ، فنصب الملعون للمسلمين حبائل ، وبغى لهم الغوائل ، وألبس الحق بالباطل ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ، ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً ، وقال: « إن جميع المفروضات والمسنونات رموز وإشارات ، وأن الظواهر كلها قشورا ، وبواطنها هو اللب المقصود ، وكان الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان حريصاً على هدم شريعة الإسلام ؛ لما في اليهود من عداوة للنبي عليه الصلاة والسلام .

ولهذا المذهب الغرض ألقاب عشرة: الإسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والسبعية ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والتعليمية ، والقرمطية ، والخرمدينية .

وكان قصدهم من دعواهم ، سلخ المسلمين عن دينهم الحنيف ، واستدراج عوام المسلمين ، ولم يمكنهم أن يصرحوا بذلك في دار الإسلام ، فوضعوا جيلاً يكون عوناً لهم على إدراك مفاهيمهم ومراميهم ، وهي تسع حيل مرتب بعضها على بعض: الزرق ، والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس ، ثم التأسيس ، ثم الخلع ، ثم المسخ ، وسمو ذلك «البلاغ الأكبر» ، وأكثرها من مقالات الفلاسفة .

أما في التوحيد:

فهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما ، وهما العقل والنفس ، ويسميان العلة والمعلول ، والسابق والتالي ، واللوح والقلم ، والمفيد والمستفيد ، وقالوا: إن الباريء سبحانه ، لا يوصف بوجود ، ولا بمعدوم ، ولا هو مجهول ، ولا موصوف ، ولا غير موصوف ، ولا قادر ، ولا غير قادر ، ولا عالم ، ولا غير عالم ، وهلم جرا . . إلى آخر الصفات ، ويقولون بالطبع ، وتأثير الكواكب ، وغرضهم نفي أنصانع سبحانه بوجه يدق على عوام الخلق .

وأما في النبوات :

فقولهم قريب من قول الفلاسفة ، وينكرون الوحي ، ومجيء الملائكة ، والمعجزات ، ويقولون: كلها رموز وإشارات وأمثال ومثالات لم يعلمها أهل الظاهر ، فمعنى ثعبان موسى: غلبته عليهم ، ومعنى إظلال الغمام: أمره عليهم. وأنكروا أن يكون عيسى عليه السلام من غير أب ، ومعنى لا أب له أنه لم يأخذ العلم من إمام ، وإنما أخذ من نائب إمام . ويقولون: إن القرآن كلام محمد ﷺ: لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(١) ، وتأولوا نبع الماء من الأصابع: إشارة إلى تكثير العلم ، وطلوع الشمس من المغرب ، خروج الإمام، وكذا تأولوا باقي المعجزات .

وقالوا: إن محمد بن إسماعيل - أحد أئمة الإسماعيلية - نبي ، وأنه ناسخ لشرعية محمد ﷺ . بل قالت فرقة منهم ، إن محمد بن إسماعيل هذا حي لم يمت ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً ، وهو المهدي .

ووصل الحال بهذه الفرقة إلى تأليه أئمتهم - والعياذ بالله - وغير ذلك من الأمور التي تدلل على كفرهم البواح بالله ، وخروجهم من زمرة المسلمين ، وإن انتسبوا إلى الإسلام زوراً^(٢) .

وبعد ؛ فيمضي مسلسل ادعاء النبوة موصولاً ، ففي السودان ادعى محمد محمود طاهر النبوة ، وألف جماعة باسم «الإخوان الجمهوريين» ، غير أن حاكم القطر - آنذاك - أجهض دعوته ، وأقام عليه حد الردة .

وفي أمريكا يدعي المدعو د. رشاد خليفة النبوة ، وساق الله إليه من يقتله ؛ ليربح المسلمين منه ، وادعى كثير غيرهما النبوة ، ولكن: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾^(٣) .

(١) «سورة التكويد»: (١٩) .

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذه الفرقة الضالة ، راجع «البيان مذهب الباطنية وبطلانه» ، منقول من كتاب «قواعد عقائد آل محمد» تأليف محمد بن الحسن الديلمي ، عني بتصحيحه ، رشد وطمان ، الطبعة الثانية - إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان سنة (١٩٨٢ م) .

(٣) «سورة الصف»: (٨) .

ولا عجب أن يدعي أفراد كهؤلاء النبوة بعد النبي المصطفى ﷺ ، فذلك آية من البيانات الشاهدة ، ودلالة من دلائل نبوة خاتم المرسلين محمد ﷺ ، حيث أخبر من الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير .

يقول ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدعي النبوة)^(١) . رواه البخاري .

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي لا نبي بعده، وسلم تسليما كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

(١) انظر سيرة ابن هشام: (٤/٤٤٣) .

